العدد 8 لسنة 2023
No. 8 – Feb. 2023
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
P-ISSN 2710-0952 E- ISSN 2790-1254

الارساليات التبشيرية الاجنبية والتعليم واثرهما في تأسيس النخبة المثقفة السورية 1820-1920

أ.د.علي عبد الواحد حسون
جامعة القادسية ـ كلية التربية
ha974sson@gmail.com
07829302836

م.م. مصطفى حامد هادي فرحان
جامعة القادسية ـ كلية التربية
mhady427@gmail.com
07813301838

الخلاصة:
سلط البحث الضوء على دور الارساليات التبشيرية الاجنبية واثرهما في تأسيس النخبة المثقفة السورية، فقد كان لها الدور الكبير في انشاء العديد من المدارس والجامعات التي اسهمت بشكل واضح في تطور التعليم في بلاد الشام بصورة عامة وفي سورية بشكل خاص، وادى التنافس لنشر هذا التبشير بين هذه الارساليات في تسريع عملية نقل المعارف والعلوم الى سورية منطلقة من اساس مذهبي تتنافس بينها ما بين الكاثوليك والبروتستانت والارثوذكس، فضلاً عن ان ضعف الدولة العثمانية سهل تغلغل هذه البعثات أكثر في سورية رغم ما قامت به في ما يعرف بالتنظيمات ومحاولة اصلاح التعليم بعد سنوات من الاهمال تجاه المنطقة العربية ومنها سورية ويرجع من ذلك الى الحكم المصري في سوريه والدور الكبير الذي قام به ابراهيم باشا من نقل التجربة المصرية في التعليم الى سورية.
الكلمات المفتاحية: الارساليات، التبشير، التعليم ، الجمعيات ، المدارس

Foreign Missionaries And Education And Their Impact On The Establishment Of The Syrian Intellectual Elite 1820-1920

Prof. Dr. Ali Abdel Wahed Hassoun
Asst.Lect. Mustafa Hamed Hadi Farhan
Al-Qadisiyah University - College of Education

Abstract:
The research sheds light on the role of foreign missionaries and their impact on the establishment of the Syrian intellectual elite, as it had a major role in establishing many schools and universities that clearly contributed to the development of education in the Levant in general and in Syria in particular. The missionaries accelerated the process of transferring knowledge and science to Syria based on a doctrinal basis in which Catholics, Protestants and Orthodox compete with each other, in addition to the fact that the weakness of the Ottoman Empire facilitated the penetration of these missions more into Syria despite what they did in what is known as organizations and attempts to reform education after years of neglect towards The Arab region, including Syria, is due to the Egyptian rule in Syria and the great role played by Ibrahim Pasha in transferring the Egyptian experience in education to Syria.
Keywords: missions, evangelization, education, associations, schools

المقدمة:

ان دراسة دور البعثات التبشيرية الاجنبية والتعليم في تأسيس النخبة المثقفة السورية ، يعد من المواضيع ذات الاهمية فيمكن من خلاله التعرف على مدى اهمية المنطقة العربية وبلاد الشام لدى هذه البعثات خاصة انها مهد المسيحية منطلقين في ذلك من توجه عقائدي لدى هذه البعثات ، فضلاً عن النفس الاستعماري الاستحواذي على هذه المنطقة المتمثلة ببلاد الشام وسورية بشكل خاص ، تقابله تعاكس من الدولة العثمانية في اداء دورها في نشر التعليم في هذه المنطقة الحيوية لدى الشرق والغرب رغم الدور الخجول الذي لا يرتقي لدورها التاريخي في نشر التعليم ولولا فترة الحكم المصري لكان هذا الدور في اسوء حالاته فمن هنا جأت هذا الموضوع كدراسة اكاديمية .

جاء البحث مقسماً الى مقدمة ومبحثين وخاتمة، فقد كان المبحث الأول بعنوان (الارساليات التبشيرية الاجنبية في سورية) فقد تم التطرق فيه الى دور هذه الارساليات التعليمي في نشر المدارس والمعاهد والجامعات في سورية مستقلة ضعف الدولة العثمانية فضلاً عن الرغبة في السيطرة والتوسع على حسابها في سورية بشكل يسمح لها التغلغل في المجتمع السوري بكل طوائفه، فقد كانت هذه البعثات تتنافس فيما بينها من اجل السيطرة والانتشار الواسع داخل سورية، أما المبحث الثاني فقد كان بعنوان (المدارس المصرية، والتعليم الرسمي العثماني والتعليم الخاص) الذي تناول مدة الحكم المصري في بلاد الشام وسورية بشكل خاص ودوره في نشر التعليم وبناء المدارس والمعاهد في سورية والدور الكبير الذي قام به الوالي ابراهيم باشا لنقل تجربته الناجحة في نشر التعليم في ارجاء مصر، وعلى الرغم من الدولة العثمانية ومحاولتها القيام بدورها الواجب باعتبارها الدولة الراعية للمنطقة العربية وسورية خاصة بعد ما عرف بالتنظيمات العثمانية الا ان دورها بقى في اطار محدود ، ولكن الدور الكبير قامت الجمعيات الخيرية مثل جمعية المعاهد الخيرية وغيرها من اجل نشر الثقافة والتعليم في ارجاء سورية .

اعتمد البحث على العديد من المصادر ذات الاهمية البالغة في دراسة تاريخ التعليم والتبشير في سورية وابرزها كتاب (يقظة العرب) المؤلف لجورج انطونيوس وكتاب (سورية في القرن التاسع عشر) لمؤلفه عبد الكريم غرايبة، فضلاً عن العديد من البحوث المنشورة في المجلات العربية ومنها مجلة (التراث العربي) ومجلة (الجنان) ومجلة (الدراسات التاريخية) . وفي الختام اتمنى ان ينال هذا الجهد المتواضع من يقرأه ومن الله التوفيق.

المبحث الأول: الإرساليات التبشيرية الأجنبية والتعليم وأثرهما في تأسيس النخبة المثقفة

عدّ الكثير من المؤرخين اسباب النهضة الفكرية في بلاد الشام خلال القرن التاسع عشر إلى تظافر عدة عوامل اهمها: نشاط الإرساليات التبشيرية الاجنبية ومدى نجاحها في بث الوعي الفكري والثقافي عبر انشاء المؤسسات التعليمية والدينية كالجامعات والكليات والمدارس بأنواعها، حيث شهد القرن منافسه جادة من قبل هذه الارساليات لمواجهة التعليم الخاص المتمثل بالمدارس الإسلامية العثمانية التي كان معظمها يقوم على دور الكتاتيب او التعليم في حلقات المساجد من جهة، ومحاوله هذه الارساليات التنافس فيما بينها عبر توسيع نشاطها وجعل هذه المدارس على احدث ما توصل اليه الفكر الحديث في اوروبا، من خلال تطوير المؤسسات التعلمية من حيث المباني والكوادر التدريسية والكتب وغيرها من طباعة وترجمة من جهة اخرى، فضلا عن دور التعليم الرسمي العثماني وان جاء متاخرا الاانه أخذ ينافس التعليم الخاص بعد حركة الاصلاحات العثمانية التي أصبح بموجبها التعليم خاضع لاشراف الدولة حيث تم تنظيم مراحل الدراسة بموجب قانون المعارف العثماني وزادت جهود الحكومة في بناء المدارس والمعاهد

العالية [1]. ويكننا دراسة اثر الارساليات التبشيرية والتعليم في تاسيس النخبة المثقفة السورية من خلال محورين رئيسيين هما:

اولاً: الارساليات التبشيرية الاجنبية في سورية:

كانت الارساليات الأجنبية قد بدأت نشاطها بشكل متلاحق منذ بداية القرن التاسع عشر وعلى امتداد ما يقارب المائة عام ليس الى بلاد الشام وحدها بل الى مختلف انحاء الدولة العثمانية وهي في اطوار ضعفها وبداية نهايتها عندما بدأت تتلاشى وحدة اراضيها وانفصلت ولاياتها الواحدة تلو الأخرى، ووقعت تحت قبضة السيطرة الاجنبية عن طريق الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية للدول الأوربية او عن طريق السيطرة الأجنبية المباشرة على اجزاء من الولايات العثمانية كما حدث في استيلاء ابراهيم باشا[2] على بلاد الشام عام (1831- 1940) [3].

واجهت البعثات التبشيرية الأجنبية عدة عوائق قبل الفتح المصري لبلاد الشام أدى الى تعطيل جهودها بشكل ملحوظ وحصره في اضيق نطاق، فقد اضطر الامريكان منذ وصولهم إلى أن يحصروا انفسهم داخل بيروت المسورة، أما اليسوعيون والعازاريون الذين سبقوا الأمريكان بمائتي سنة، فكانوا قد اسسوا مدارس لهم في دمشق وحلب ولبنان وشاركوا مشاركة كبيرة في نشر التعليم إضافه إلى أن جهدهم الاكبر كان موقوفا على استمالة الناس للدخول في طائفتهم وعلى نشر الثقافة الدينية[4]، وعندما جاء ابراهم باشا أحدثت سياسته في الحكم كثيراً من التغيرات، فتح المجال بذلك أمام البعثات التبشيرية الأجنبية، فتقاطر المبشرون على بيروت ومنها انطلقوا إلى جميع أنحاء الشام، وكانت سنة1834 سنة تحول ففيها عاد اليسوعيون، وكذلك وصل وافدون جدد من الامريكان لينضموا إلى الفئة القليلة التي سبقتهم، وبذلك بدا التنافس على النفوذ والغلبة بين الكاثوليك والبروتستانت، وكان من نتائج ذلك إنتعاش اللغة العربية وبانتعاشها قامت حركة فكرية إنتقلت خلال زمن قصير من الأدب الى السياسة[5].

كان اليسوعيون انشط البعثات والجمعيات التبشيرية، وتعود صلتهم بالشام الى سنه 1625، ومع انهم كانوا يعانون من المشاق والاضطهاد والفقر الى ان تعطلت جمعيتهم سنه 1773 فتشتتوا واغلقوا اكثر مؤسساتهم وسلموا ما تبقى الى البعثات العازورية لتديرها، ولم يستأنفوا عملهم الا في سنه 1831 وكان من الأسباب التي اوجبت عودتهم هو أن البعثات التبشيرية الأمريكية وصلت إلى بلاد شام وأخذت تحول اعداد من الطوائف الكاثوليكية الى المذهب البروتستانتي[6].

كان أتباع الكنيسة المشيخية أول من وصل من الامريكان في سنه 1820، وكانوا يخضعون لأشراف المجلس الامريكي لمراقبه البعثات التبشيرية في الخارج، نزل البريسبيتريون بيروت وأسسوا فيها أول مركز لهم، وقد واجهتهم جميع العقبات التي اعترضت سبيل الجمعيات الكاثوليكية التي سبقتهم، وكانت أهم هذه العقبات انه لم تكن في بلاد الشام طائفة بروتستانتية فكانت وسيلتهم الوحيدة لجمع الاتباع هي تحويل الأفراد من الطوائف الأخرى، وكانت أول طلائع البروتستانت الذين وصلوا الى بلاد الشام في سنه 1820 من بينهم شاب في السادسة والعشرين من عمره يدعى ايلي سميث كان لجهوده في بلاد الشام ابعد الاثر[7].

لقد زاول المبشرون الامريكان نشاطا كبيرا في حقل التعليم والتبشير، فقد بدا عملهم عام 1820 ونقلوا بعد اعوام مطبعتهم من مالطه إلى بيروت، واسسوا كليه في "عين طورة" عام1834 وفي اخر سنوات الحكم المصري في بلاد الشام انفقوا سبعة آلاف دولار وفتحوا مدرسة داخلية للذكور اتبعوها بعد ست سنوات

بمدرسة داخلية للإناث، ثم أسسوا ناديا لألقاء المحاضرات[8]، وقام المبشر الامريكي ايلي سميث وزوجته بتأسيس مدرسة للإناث في بيروت في بناء خاص، وانشا القس وليم طمسن مدرسة في بيروت عام 1835، كما قدم الدكتور فانديك [9] إلى سورية ورأى البلاد بحاجه إلى المدارس العليا فإنشا "مدرسة عبية" في لبنان سنه 1847 وهي مدرسه عالية تعليم للعلوم الطبيعية والرياضيات وفي السنة نفسها انشا الآباء اليسوعيون مدرستهم في غزير وهكذا حدثت منافسة بين اليسوعيون والأمريكان[10].

كانت لجهود المبشرين الامريكان في مجال التعليم آثار كبيرة، فقد ادركوا أن ما كانت تحتاج اليه البلاد قبل كل شي هو نظام تعليمي يلائم تراثها، وكانت أول الامور بنظرهم تأليف كتب عربية وكتب مدرسيه مختصرة، فعزم ايلي سميث وزملاؤه على أن يتولوا ذلك، وانكبوا على تعلم اللغة العربية خلال الزمن الذي استغرقه نقل مطبعتهم من مالطة إلى بيروت، ولم تمضي سوى سنوات قليلة حتى استطاعوا أن يسدوا بما طبعوا من كتب حاجة المدارس التي أنشاؤها كما زودوا المدارس الأخرى بالكتب، وحين وجدوا إن مجموعة الحروف العربية بالمطبعة اصبحت لا تفي بالغرض، سافر ايلي سميث الى عدة مدن للبحث عن حروف جديدة، ثم سافر إلى ليزبرج حيث اشرف على سبك نمط جديد من الحروف عرف ب"الحروف العربية الأمريكية"، ثم قام المبشرون الامريكان باستثمار جهود اثنين من ابرز العلماء وهما ناصيف اليازجي[11] وبطرس البياتي، [12] فعهد اليهما بتأليف كتب مدرسية مختصرة في شتى الموضوعات ثم قاموا بطباعتها في مؤسستهم وزعوها على جميع انحاء البلاد[13].

توج المبشرون الأمريكان أعمالهم في مجال التعليم بإنشاء "الكلية السورية الإنجيلية" في بيروت سنه 1866، حيث استقبلت ستة عشر طالباً في سنتها الاولى وضمت ثلاثة أساتذة فقط، واقتصرت في سنتها الأولى على كلية واحدة هي كلية العلوم، ثم اضيفت اليها بعد عام كلية الطب، وكانت اللغة العربية هي لغه التدريس في الجامعة، ثم نمت الجامعة وأخذت ترتقي شيئاً فشيئاً فأنشئت كلية الصيدلة سنه 1871، وانتقلت الجامعة الى بنائها الجديد في بيروت سنه 873، وفي عام 1882 أصبحت اللغة الإنكليزية لغة التدريس في الجامعة، وفي عام 1920 أصبح اسمها "الجامعة الأمريكية في بيروت"، وفي عام 1900 اضيفت اليها كلية التجارة وطب الاسنان سنه 1910 وكلية الهندسة سنه 1911 حتى أصبحت تضم سبع كليات و481 استاذا عام 1960[14]، وقد ساهمت الجامعة السورية بنصيب كبير في الحركة الفكرية في بلاد الشام ويتجلى ذلك بصورة واضحة في الجهود التي بذلتها لنشر العلم والمعرفة وما اضفته على الدراسات الأدبية والعلمية من حياة وقوة، وما حققه طلابها الذين تخرجوا من أثر في النهضة العربية ، فضلا عن جهودها في دعم اللغة العربية وإعادة إحياء التراث العلمي العربي[15].

كان اليسوعيون اكثر البعثات الكاثوليكية عملا وتقدما في ميدان التعليم، فعندما عادوا الى بلاد الشام سنه1831 أعادوا بعد سنتين إفتتاح اثنين من مؤسساتهم السابقة في جبل لبنان، ثم الحقت فيما بعد مدرسه بكل واحدة منهما، وانشأوا مدارس في بيروت سنة 1839 وفي غزير سنه1843 وفي زحلة 1844، ثم وسعوا مجال نشاطهم في بقيه المناطق، فشمل نشاطهم دمشق سنه 1872 وحلب1873[16]، وتعتبر الارساليات الكاثوليكية لليسوعيين من أكثر الارساليات نشاطا التي تدار من قبل الفاتيكان وتحظى بإسناد ودعم من قبل فرنسا، فقد افتتحوا شبكة واسعة من المدارس والمعاهد الدينية، كما حققوا تفوقا ملحوظا في مجال التعليم الابتدائي بالنسبة الى باقي الطوائف الدينية[17].

وكان أهم إنجازات اليسوعيين في مجال التعليم العالي هو افتتاح "جامعه القديس يوسف" التي تأسست سنه 1875 بعد أن وافقت الحكومة الفرنسية على المشروع الذي تقدم بيه اليسوعيون لبناء الجامعة، وكان

الهدف مواجهة النفوذ البروتستانتي المنافس لهم في بلاد الشام، وتضم الجامعة مدرسة اكليريكية شرقية كبرى وأخرى صغرى، وكلية طب وكلية الصيدلة وترتبط بها مدرسة لطب الأسنان ودراسة الحقوق، ومدرسة للهندسة ومرصد، وكذلك حلقة تحضيرية للمدارس العليا، ومدرسه للتعليم الثانوي ومدارس ابتدائية، وتضم ايضا المطبعة الكاثوليكية والمكتبة الشرقية، وكانت الجامعة تستقبل الطلاب من مختلف الطوائف ومن جميع مناطق الشام، وقد ضمت احد عشر طالبا عند افتتاحها[18].

أما اقسام الجامعة ففيها قسمان: القسم الادبي، ويدرس فيه اللغات المختلفة والتاريخ والجغرافية، والقسم العلمي، ويتضمن دراسة الحساب والجبر والهندسة وعلم الفلك والكيمياء والتاريخ الطبيعي بفروعه الاساسية كعلم الحيوان والجيولوجيا وعلم التشريح، وقد تخرج من جامعه القديس يوسف عدد كبير من الطلاب العرب والمسلمين من مناطق سورية المختلفة، وتحولت سنه 1881 الى "جامعه بيروت الكاثوليكية"، واصبحت تمنح خريجيها شهادة البكالوريوس في الآداب[19].

وتأتي البعثات التبشيرية الأرثوذكسية من حيث الاهمية بعد البعثات التبشيرية البروتستانتية والكاثوليكية، فمنذ بداية اربعينات القرن التاسع عشر بدأت روسيا القيصرية تهتم بأرسال بعثاتها التبشيرية الأرثوذكسية الى بلاد شام، وبدأ المبشرون الروسي بشراء الاراضي وتشييد الأبنية عليها، وفي عام 1843 ارسلت الكنيسة الأرثوذكسية الروسية المطران بارفيري بمهمة إلى بيت المقدس وبعد ثلاثة اعوام تم ارسال بعثة روسية دائمة الى بيت المقدس، وباشرت البعثة الروسية ممارسة نشاطاتها في بلاد الشام، واقامت عام 1852 دار للطباعة لإصدار الكتب الدينية بالغتين العربية واليونانية وتزويد المدارس الأرثوذكسية بالكتب الدراسية العربية، وقد ساعدت المتغيرات الدولية في مطلع سبعينيات القرن التاسع عشر وتحسن وضع الدبلوماسية الروسية في الساحة الدولية البعثات التبشيرية الأرثوذكسية الروسية في بلاد الشام على زيادة نشاطاتها خصوصا بعد تمكن روسيا القيصرية من تعديل بنود اتفاقيه باريس التي وقعت عليها في اعقاب هزيمتها في حرب القرم عام 1856[20].

كان للبعثات التبشيرية الأرثوذكسية نشاطٌ ملحوظ في مجال التعليم، فقد أسس الارثوذكس مدرسة للذكور في دمشق تدرس العربية والتركية والفرنسية وتضم سبعه معلمين وثلاثمائة تلميذ، وفتح الارثوذكس مدرسه اخرى للذكور في حي الميدان بدمشق فيها خمسين طالب، وفتحوا مدرسة أخرى للإناث فيها مائة وخمسون طالبة، ثم أسسوا مدرسةاخرى للذكور تضم مائتين وخمسين طالباً، ومدرستان في حي الميدان احداهما للإناث فيها ستون طالبة واخرى للذكور فيها ستون طالبا، وفي حمص أسس الأرثوذكس عام 1888 جمعية المدارس الأرثوذكسية لنشر التعليم فيها، وفي بيروت كان للروم الأرثوذكس مدرسة بطيركية أسست عام 1865 بالإضافة إلى مدرسة الثلاثة أقمار التي نقلوها عام 1866 الى بيروت[21].

وهناك مدارس طائفية أخرى فكان للعزارين مدرسة في عين طورا منذ 1834 وافتتحت راهبات المحبة مدارس ابتدائية مجانية للفقراء وثانوية للطبقة الوسطى عام 1847، ومدرسة داخلية عام 1849، واسس الروم الكاثوليك مدارس "عين القش" و"عين كزار"، وافتتح بطرس البستاني مدرسة سماها "المدرسة الوطنية" سنة 1863 تخرج منها عدد كبير من المثقفين والكتاب العرب، كذلك أسس زاكي كوهين أول مدرسة إسرائيلية عربية سماها "المدرسة الوطنية الإسرائيلية" سنه 1874، كما افتتحت مدارس عديدة للبنات اشهرها "المدرسة الانكليزية" سنه 1860 و"المدرسة الانجيلية الامريكية" للبنات سنه 1861 ومدارس "العازاريات" و"راهبات المحبة" و"الناصرة" ومدرسة "مستر تيلر" ومدرسة "بروسيا" ومدرسة "زهرة الاحسان" وغيرها[22].

وكان للموارنة نشاط ملحوظ في نشر التعليم ودفع الحركة العلمية في بلاد الشام، فقد أسس البطريرك يوسف اسطفان مدرسة في عين ورقة خرجت العديد من الطلبة امثال بطرس البياتي وفارس الشدياق ورشيد الدحداح ويوسف الخازن وغيرهم، ودرست هذه المدرسة اللغات السريانية والعربية وعلم الفصاحة والمنطق واللاهوت وغيرها، وأسس يوسف الدبس مدرسة علمانية في بيروت عام 1874 سميت "مدرسه الحكمة" سنة 1875، كما اسس الموارنة مدارس اخرى تزيد على اثني عشر مدرسة، ويذكر المؤرخ والاديب نعمان قساطلي في كتابه "الروضة الغناء في دمشق الفيحاء" انه في حدود عام 1878 كان عدد المدارس المسيحية تسع، واربع مدارس للبعثات الأجنبية، وسبعة مدارس للبنات من ضمنها ثلاثة للبعثات الأجنبية، اما اليهود فكان لهم مدرسة بسيطة فيها 350 تلميذا[23].

ثانياً: المدارس المصرية والتعليم الرسمي العثماني والتعليم الخاص:-

شهدت بلاد الشام خلال سنوات الحكم المصري 1931-1940 تحت ادارة ابراهيم باشا تطورا ملحوظاً في الجوانب الإدارية والاقتصادية بصورة عامة، والجانب التعليمي بصوره خاصة، وبالرغم من قصر العهد المصري بالنسبة إلى العهد العثماني الطويل فقد ارسيت فيه قواعد جديدة للحكم لم تكن معروفة من قبل، اذ أنهى ابراهيم باشا عهد الحكم السطحي وبدأت الدولة بالتدخل في شؤون التعليم والقضاء والمواصلات والصحة العامة، وازدادت دقة وحزما في تنفيذ قراراتها[24]، عملت حكومة ابراهيم باشا في سورية على انشاء المدارس الابتدائية في جميع انحاء البلاد وانشاء المدارس الثانوية في بضع مدن رئيسية، ولم يكن هدف الحكومة من ذلك ان ينتشر التعلم لذاته مجردا، وإنما أرادت ايضا أن تكون المدرسة وسيلة تخدم اهدافها السياسية ومطالبها العسكرية، وقد حرص على غرس الوعي القومي العربي وهيأ لذلك خبراء متخصصين من فرنسا لتحقيق هذه الغاية، واراد كذلك ان يهيئ لشباب البلاد تعليما خاصا يعدهم للخدمة العسكرية، وفضلا عن المدارس الابتدائية التي انشاها في جميع انحاء الشام، اسس كليات عالية في دمشق وحلب وانطاكية، كانت تتيح لطلابها وجميعهم من المسلمين السكن والطعام والتعليم على نفقة الدولة، وكان في كلية دمشق وحدها بحدود (600) طالب، وفي كلية حلب ما يزيد على (400) طالب، ومع ان هذا النظام الجديد حقق نتائج كبيرة في وقته، غير انه لم يدم اكثر من ست سنوات، اذا انه زال بجلاء الجيش المصري عن بلاد الشام1840[25].

ويشير محمد كرد علي الى ان تغيرات واضحة وحراك علمي وثقافي كان قد حصل مع حلول القرن التاسع عشر، فكان للعلوم والمدارس الحديثة بالغ الأثر في تشكيل منابع الثقافة في ولاية سورية عموما ودمشق خصوصا، وإن كان التأثير على الحركة التعليمية والثقافية بطيئا في البداية، إلا أنه سرعان ما تطور بعد دخول ابراهيم باشا دمشق، ويعبر عن ذلك بوضوح بقوله: "بدأت تباشير العلوم الرياضية والطبيعية، وكانت قد انحطت انحطاطا اشبه بالأندراس تُقبل على الشام من طريق الديار المصرية بواسطة النهضة التي انبعثت بعنايه محمد على باشا، فإنه أنشا مدارس للهندسة والطب والترجمة والفنون الجميلة وغيرها، فتخرج فيها كثير من المصرين وبعض أفراد من الشاميين، واخذت تسري من انوارها اشعة نافعة الى الشام"[26].

اتى الحكم المصري الى سورية محملا بأفكار التنوير الأوربية راغبا في التغير في شتى المجالات، وإن كان التعليم اقل حظاً إلا أنه كان بمثابة اللبنة القوية للبلاد الشامية في دفع النهضة العلمية الى الامام، من خلال ازدياد اعداد المدارس[27]، وقد حافظ النظام الجديد على التعليم الديني الموجود سابقا، كما قامت الحكومة بتعميم المدارس في ارجاء سورية لتعليم القراءة والكتابة والعلوم الدينية، وفي عام 1835 قامت

حكومة ابراهيم باشا بوضع خطة منظمة لإنشاء مدارس حكومية على الاسس التعليمية للمدارس الحديثة الموجودة في مصر، وقد ركزت تلك المدارس على تعليم المجندين الغير متعلمين في سورية، وكانت هذه المدارس تعتمد على نظم التعليم الفرنسية لتخريج الضباط، وقد ازداد اقبال الشباب السورين على هذه المدارس تدريجيا، وقد تم بناء العديد من المدارس النظامية ضمت المئات من الشباب السوري [28] .

أما التعليم الرسمي العثماني فإنه كان شبه منعدما حتى العقد الثاني من القرن التاسع عشر أي حتى بدا عهد ما يعرف بالتنظيمات او قبل ذلك بقليل، فقد ادى الضعف العام الذي بدا ينخر في جسد الدولة العثمانية ومهد لانهيارها لاحقا الى سياسات مترددة ومرتكبة شملت مؤسساتها كافة بما فيها المؤسسات التعليمية، وقد حاولت الدولة العثمانية مقاومة التدخل الاوربي من خلال الإصلاح والتحديث، فأرسلت البعثات التعليمية الى أوروبا لتعلم اللغات الأجنبية من فرنسية وايطالية، كما استخدمت الأساتذة الاجانب في التعليم ونشطت حركة الترجمة لمختلف العلوم الى اللغة التركية، ولم يكن توافد الارساليات والبعثات الأجنبية هو السبب الوحيد لاندفاع المسؤولين الأتراك نحو الاصلاح في الميدان الثقافي والتربوي، وإنما شكلت حركة التحديث التي نشطت في مصر على يد محمد علي ثم انتقالها إلى بلاد الشام لاحقاً حافزاً آخر فاصبح ذلك يمثل تهديدا حقيقيا لنفوذ الدولة ووحدتها[29].

عندما بدأت حركه الاصلاح العثماني بما عرف بـ"التنظيميات" تركت المعاهد القديمة كما هي ولم تجر محاولات لإعادة تنظيمها أو فرض رقابة عليها بل اتجه المصلحون الى انشاء معاهد جديدة مستقله عن المعاهد القديمة، وكان الغرض الأول من إنشاء المعاهد والمدارس الجديدة عسكرياً استهدف تعليم الفنون العسكرية أو الاعداد لذلك، ثم تدورت المعاهد وازداد الاهتمام بالمواطن العادي بعد أن أدرك المسؤولون أن الشباب المثقف أصلح من غيرهم ليكون ضباطاً في الجيش العثماني[30].

كان أهتمام المسؤولون أول الامر منصبا على إنشاء المدارس، واعتقدوا أن الحاجة الى المدارس العسكرية العالية يتقدم على غيره، ومنذ عام 1828 بدأوا بإنشاء كلية عسكرية طبية في استانبول قبل أن يؤسسوا مدارس ابتدائية أو ثانوية تعد الطلاب لدخول هذه الكلية، ثم انشأوا كلية حربية واخرى للموسيقى لسد احتياجات الجيش، ثم التفت المسؤولون إلى اهميه وجود مدارس تعد الطلاب بصورة مسبقة فقرروا انشاء ثانوية حربية ثم شكلوا مجلسا للتعليم، وبعد عشر سنوات قررت الحكومة تشكيل مجلسا اعلى للمعارف، وفي عام 1846 اصدر الباب العالي في عهد السلطان عبد المجيد الأول(1823-1861) قانون يتعلق بما سمي "اصلاحات التعليم" في ارجاء الامبراطورية العثمانية، وبموجب هذا القانون تقوم الدولة بالإشراف على العملية التعليمية بعد أن كان يشرف عليها الشيوخ ورجال الدين[31].

بالرغم من خضوع التعليم لإشراف الدولة إلا أن التعليم الديني بقي الركيزة الأساسية للمدارس، واستمر تركيز التعليم حول العلوم الدينية على حساب الفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضية، ولم يكن للمدارس أية صفة قانونية مستقلة بذاتها كمؤسسة رسمية، وفي عام 1869صدر قانون المعارف العمومية، فنظم بموجبه قانون المدارس في جميع انحاء الدولة العثمانية بصورة عامة وفي سورية خصوصاً، حيث كان التدريس في المدارس الحكومية باللغة التركية الى جانب بعض مواد اللغة العربية من نحو وصرف وتاريخ وانشاء ومحفوظات وجغرافية وحساب وهندسة وبعض المواد الدينية، كما انشأ بموجب قانون المعارف العديد من المعاهد العليا كمدرسة الطب ومدرسة الزراعة، وقد اشتمل القانون على(198) ماده قسمت بموجبه مراحل الدراسة إلى خمس مراحل هي:[32].

1- المرحلة الابتدائية: ألزم قانون المعارف وجود مدرسة ابتدائية في كل قرية أو قريتين على الأقل، كما ألزم القانون أهل القرية على دفع النفقات اللازمة مثل تعمير مدرسة وتوفير لوازم المعلمين، كما اعتمد القانون ان تضمن مناهج التعليم العلوم الدينية الى جانب القراءة والكتابة، وتقرر أن تكون اللغة التركية هي لغة القراءة والكتابة بالإضافة إلى تعلم الحساب والعلوم والتاريخ والجغرافية ومنع تعلم أي من اللغات الأجنبية[33].

2- المدارس الرشدية: لقد أوجب قانون المعارف إنشاء مكتب رشدي واحد أي مدرسة حديثة واحدة لكل بلدة تضم اكثر من (500) بين بيت، ويجب على صندوق ادارة المعارف في كل ولاية أن يتحمل كافة نفقات بناء المدرسة الرشدية، وتكون مدة الدراسة فيها أربع سنوات، تدرس فيها القواعد والنحو والصرف والخط والانشاء والتاريخ والجغرافية والحساب والهندسة وبعض التعليم الديني، وتكون لغة التدريس اللغة التركية [34].

3- المدارس الإعدادية: ويتم تأسيس هذه المدارس في الاقضية والالوية التي يتجاوز عدد سكانها الالف بيت، حيث يقوم صندوق ادارة المعارف بتكفل النفقات المتعلقة بإنشاء هذه المدارس، وخصص لكل مدرسة إعدادية ستة معلمين مع معاوينهم، ويحمل معلمو المدارس الاعدادية شهاده دار المعلمين، ومدة الدراسة في هذه المدارس ثلاث سنوات، أما مناهجها فهي اللغة التركية والحساب والهندسة والقانون العثماني والتاريخ العام والجغرافية والطبيعة والمنطق والكيمياء والجبر والرسم، ويتعلم التلاميذ لغة أوربية هي اللغة الفرنسية، ولا تدرس فيها اللغة العربية[35].

4- المدارس السلطانية: ويقبل في هذه المدارس الطلاب الناجحون في امتحان المرحلة الإعدادية، ولا توجد المدارس السلطانية الافي مراكز الولايات، ويشترط على تلاميذ المدارس السلطانية ان يدفعوا رسوما تختلف من تلميذ لآخر، اما الدراسة في المدارس السلطانية فتقسم على قسمين: القسم العالي، والدراسة فيه ست سنوات ويتفرع الى شعبتين، شعبه الآداب ومواد الدراسة فيها هي فن الكتابة والانشاء التركي، والمؤلفات المتعلقة بالأدب العربي والفارسي، والمعاني واللغة الفرنسية وعلم ثروة الامم وحقوق الامم والتاريخ، اما الشعبة الثانية، فهي شعبه العلوم، ومواد الدراسة فيها هي الهندسة والمناظر والجبر والهيئة والفلسفة الطبيعية والكيمياء وعلم المواليد وفن تخطيط الارض، القسم الثاني هو القسم العادي: ومده الدراسة فيه ثلاث سنوات ومواد الدراسة كمناهج المرحلة الاعدادية، والتعليم في هذه المدارس باللغة التركية، ولا تدرس فيها اللغة العربية، وهذه المرحلة أعلى مراحل التعليم في ولاية سورية[36].

5- المدارس العالية: وتشمل دار المعلمين ودار المعلمات ودار الفنون في استانبول ومكاتب الفنون والصنائع المختلفة، ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات ويشترط في الطلاب المقبولين أن يكونوا قد اجتازوا بنجاح مراحل التعليم السابقة، وحصلوا على شهادات الدراسة الرشدية والاعدادية والسلطانية، ويحق لخريجيها التدريس في المدارس الرشدية أو الاعدادية ودار المعلمين[37].

كانت اراضي الجمهورية السورية الحالية في العهد العثماني مقسمة من الوجهة الادارية على ولايتي حلب وسورية، ومتصرفية دير الزور المستقلة عن الولايات، ومتصرفية اللاذقية التابعة إلى ولاية بيروت، وقد اظهرت الاحصاء ان الرسمية التي نشرتها وزاره المعارف العثمانية قبل الحرب العالمية الاولى إلى انه كان في هذه الوحدات الادارية (259) مدرسة ابتدائية رسمية، وهناك أربع مدارس ثانوية وداران للمعلمين أحداهما في دمشق والآخر في حلب يبلغ عدد طلابهما (201)[38]، وهناك مدرسة للطب في

دمشق يبلغ عدد تلاميذها (281)، وخلال تولي مدحت باشا ولاية سورية (1879-1880) زادت الحركة والنشاط الثقافي والتعليمي، فانشأ في دمشق وحدها ثمان مدارس ابتدائية للذكور والاناث، كما أسس دار للصنائع وتم فرض عقوبة على كل ولي امر قد يبلغ ابنه السادسة من العمر ولم يرسله والده إلى المدرسة، وبذلك اخذ التعليم ينتشر بين مختلف الفئات الاجتماعية، كما أخذ ابناء سورية يسعون بخطى أسرع لمواكبة التمدن الجديد فجمعوا الاعانات واسسوا الجمعيات لدعم المؤسسات التعليمية، ففي عام 1878 قام كل من الشيخ طاهر الجزائري والشيخ علاء الدين عابدين وبهاء بك امين سر الوالي مدحت باشا[39] في دمشق بالاتفاق على تأسيس جمعية علمية اجتماعية على ان يكون اسمها "الجمعية الخيرية الاسلامية" او "جمعية المقاصد الخيرية" التي ماتزال قائمة حتى الوقت الحاضر، وانضم اليها نخبه من علماء واعيان ومثقفي دمشق، كما تولي رئاستها الشيخ علاء الدين عابدين وقد تشجع أهالي دمشق على ارسال ابنائهم اليها[40].

ويذكر محمد كرد علي ان جمعية المقاصد الخيرية استطاعت انشاء ثماني مدارس في دمشق وبلغ عدد طلابها نحو(1200) طالب، كما انشات مدرسه للبنات ضمت(150) طالبه، ومع نهاية سنه1879 تحولت الجمعية الى ديوان المعارف، وفي عام 1880 وبدعم من والي دمشق ثم جمع كافه الكتب والمخططات النادرة ليكون مكتبة عامة في مبنى المدرسة الظاهرية، وفي عام 1883 وصل عدد المدارس في جميع البلاد السورية إلى أكثر من(600) مدرسة في المدن و إلى(800) مدرسة في الارياق، كان فيها اكثر من(2000) معلم ومعلمه، وفي عام 1901 اصدر السلطان عبد الحميد الثاني فرمانا بتأسيس مدرسة الطب في دمشق التي افتتحت عام 1903، وكانت مده الدراسة فيها ست سنوات اما لغة التدريس فكانت اللغة التركية، ثم تبعها انشاء مدرسة الصيدلة لاحقا، وعلى الرغم من الحركة التعلمية الاصلاحية في دمشق الا ان عدد المتعلمين لم يتجاوز في نهاية القرن التاسع عشر اكثر من 10 بالمئة بعد ان كانت نسبتهم أثنان بالمئة في منتصف القرن التاسع عشر[41].

أما لواء حماه فكان أقل تقدماً في الناحية العلمية من لواء دمشق، ويعود ذلك الى عدم اهتمام الولاية بالمعارف في اللواء وعدم اهتمام الاهالي بالتعليم، لذلك كانت معظم مدارس حماه كتاتيب صغيرة، وكان في حماه مدارس رسمية تابعة للدولة وهي المكتب الرشدي ومدرسه شعبة المعارف، وبلغ عدد المدارس في حماه سنة 1885(22) مدرسه ابتدائية تضم(1250) طالباً، ومدرسة رشدية تضم (40) طالبا، اما عدد المدارس في حمص فقد بلغ في سنه 1885(21) مدرسة ابتدائية ضمت(840) طالباً، ولم يكن في حمص مدارس ابتدائية للإناث، وكان فيها مدرسه رشدية واحدة ضمت(30) طالباً[42]، وفي حلب كان هناك(35) مدرسة للبنين و (7) مدارس للبنات يدرس فيها (76) معلماً و(18) معلمة تضم(175500) طالباً و(810) طالبة من مجموع سكان حلب البالغ (100،000) نسمة، وفي اللاذقية كان يوجد (12) مدرسه للبنين ومدرستين للبنات يدرس فيها(27) معلم وست معلمات وفيها(664) طالباً و(160) طالبة من مجموع سكانها البالغ (12،000) نسمة[43].

وفي إحصاء لوزارة المعارف العثمانية لسنه 1915يظهر ان عدد المدارس الابتدائية التي كانت موجوده في الولايات العربية هي(185) مدرسة في ولاية حلب،(136) مدرسة في ولاية سورية، اما عدد المدارس الثانوية فكانت(12) مدرسة منها خمس في درجه سلطانية في بيروت ودمشق وحلب وبغداد وكركوك، واثنتان في درجة اعدادية في الوية القدس وطرابلس الشام وما تبقى اعداديات الولايات، وكان هناك دار للمعلمين ومدرسة للصناعة في كل من ولاية سورية وولاية حلب، وكان هناك مدرسه زراعيه

واحده في متصرفية حماه ومدرسة عليا للطب في دمشق، وكانت لغة التدريس الرسمية في هذه المدارس هي اللغة التركية، واقتصر استخدام اللغة العربية على بعض المواد في البلاد العربية، وحتى عام 1910 حينما جعلت الحكومة اللغة العربية الزامية في البلاد العربية[44].

نالت سوريه نصيباً كبيراً من المدارس والمعاهد، ففي احصائية اوردها عبد الكريم غرايبة لعدد المدارس والمعاهد في سورية عام 1883، تشير هذه الدراسة الى وجود اكثر من ألف واربعمائة مدرسة موزعه بين المدن الكبيرة والارياف، تضم اكثر من(60،000) طالب و (12،000) طالبة، ويدرس فيها اكثر من (2،334) معلم ومعلمة، موزعين كالتالي: في المدن (603) مدرسة و (1،451) معلم ومعلمة وتضم(25،097) طالبة وطالبة، وفي الارياف هناك (770) مدرسة فيها (800) معلم ومعلمة ويدرس فيها بحدود(34،469) طالب وطالبة، بالإضافة إلى عدد من المدارس المتفرقة فيها اكثر من (110) معلم ومعلمة، ويدرس فيها اكثر من(3000) طالب وطالبة، أما عدد المدارس الكلية في سورية هو(1،473) مدرسة فيها(2،334) معلم ومعلمة، ويدرس فيها اكثر من(62،566) طالب وطالبة في مجتمع سورية الذي تجاوز عدد سكانه المليونين نسمه[45].

وفي احصاء اخر منشور عن وزارة المعارف العثمانية لعام 1915 يصف عدد المدارس في بلاد الشام، فيشير الى ان هناك (185) مدرسة ابتدائية في ولاية حلب و(136) في ولاية سورية و(125) في ولاية بيروت، أما المدارس الثانوية فكانت ثلاث مدارس في درجه السلطانية واحدة في كل من بيروت، ودمشق وحلب، واثنتان في درجة الاعدادية في الوية القدس وطرابلس الشام، ودار للمعلمين ومدرسة للصناعة في مركز كل ولاية، ومدرسة زراعية واحدة في السلمية التابعة لمتصرفية حماه، ومدرسه للطب في دمشق ومدرسة للحقوق في بيروت، ومدرسة الصلاحية في مدينه القدس وكانت مدرسة دينية عالية عصرية خرجت عدد كبير من المعلمين، وكان التعليم في جميع المدارس بكافة فئاتها يجري باللغة التركية[46].

أما التعليم الاسلامي الخاص فقد أخذ منحى تصاعدياً منذ بداية القرن التاسع عشر، وكان مقتصراً في البداية على الكتاتيب والمدارس الدينية وحلقات الدروس التي تلقى في الجوامع، ولم تكن احوال التعليم الاسلامي في سورية جيدة حتى ظهور المدارس الحديثة، ويصف محمد كرد على تدهور التعليم في سورية بالقول: "من العجيب ان مدينة كدمشق لا يقل سكانها عن ثلاثمائة الف نسمه كان فيها في الثلث الاول من القرن العاشر الهجري نحور ثلاثمائة مدرسة ومعهد مختلفة عدا الكتاتيب الملحقة بالجوامع تقرا فيها دروس العلم والأدب والطب والهندسة، ليس فيها اليوم درس ديني واحد يقرأ بصورة مطردة ولذلك بلغت العلوم الشرعية درجه من الضعف تضحك وتبكي، وبلغت اكثر وظائف الوعظ والتدريس والخطابة من السخف ما نسأل الله معه السلامة"[47].

بدأ القرن التاسع عشر وفي سورية عدد من المؤسسات الثقافية من مدارس ومكتبات اديرت حسب الطرق القديمة بمعزل عن السلطات الرسمية وعن اي ادارة مركزية، وادار هذه المؤسسات الثقافية اما اصحابها بصفتهم الشخصية وإما عن طريق الطائفة التي تنتمي اليها هذه المؤسسات، وتمتعت هذه المؤسسات بموارد مالية جيدة من ريع اوقافها، ومن خلال التبرعات التي يقوم بها الميسورين واهل الإحسان، مما سهل على الطلبة تحقيق اهدافهم في الحصول على قصد من التعليم وأمّن لهم في أحيان غير قليلة السكن والطعام[48].

وقد تضافرت عوامل عديدة في لفت انظار المسلمين في سورية نحو الاهتمام بالمعارف وإنشاء المؤسسات والجمعيات التعليمية ما اسهم في اتساعها وارتقاء اللغة العربية، كان من ارز هذه العوامل البعثات التبشيرية الأجنبية وما حققته في مجال التعليم، والإدارة المصرية في سورية وخطتها في انشاء المدارس الحكومية، ودور رجال الدين وبعض الشخصيات من اهل البلاد الذين اثارت فيهم البعثات التبشيرية غريزة المحافظة على الذات، كما اثارت فيهم نزعتهم الى الخير، هذا فضلا عن تخوف البعض من اهالي سورية في تشجيع ابراهيم باشا لإنشاء المدارس العسكرية فيها وتجنيد الشباب السوري من خلال هذه المدارس، كل هذا دفعهم الى انشاء مؤسسات وجمعيات خيرية تهتم بالتعليم والثقافة[49].

كان في سورية عدد من المدارس الدينية التي تشرف عليها الاوقاف مباشره فتقوم بتحديد عدد الأساتذة وحجم المدرسة وعدد الطلاب، ويدفع نفقات هذه المدارس السلاطين أو الأمراء أو الاغنياء، وهذا ينطبق على مدارس الأديرة ايضا، وتلحق المدارس الدينية في بعض الاحيان بالجوامع او الأديرة واحيانا تكون مستقلة، وترصد لها الاموال شهريا لتغطية نفقات التلاميذ والأساتذة والعاملين فيها وتامين احتياجاتهم في الدروس، وكان من أهم المدارس الإسلامية الدينية في دمشق خلال القرن التاسع عشر دار القراءة الصابونية انشأها احمد البكري المعروف بابن الصابوني، ودار القرآن والحديث التنكزية الواقعة خلف سوف البزورية، ومن اهم دور الحديث دار الحديث الاشرفية الاولى ودار الحديث الاشرفية الثانية[50]. ومن المدارس الإسلامية الاخرى التي اشتهرت في دمشق مدارس اسماعيل باشا العظم ومدارس سليمان باشا العظم. والمدرسة الصيادية والباذرائية والمرادية والمزبورة، وقد نالت دمشق نصيبا كبيرا من المدارس الدينية والكتاتيب حيث قدر عدد طلاب المدارس الدينية بـ(700) طالب[51]، وضمت حلب عدد من المدارس الدينية من اهما المدرسة العثمانية والمدرسة الشعبانية والقرناصية وكانت هذه المدارس الثلاث تعد في مقدمه المدارس، ويأتي بعدها المدرسة السيافية والاسماعيلية والمنصورية والبهائية والمدرسة الخسروية، وقد بلغ عدد طلاب هذه المدارس بحدود مائة وخمسين طالباً في نهاية القرن التاسع عشر، أما المواد التي تدرس في هذه المدارس العالية فهي العلوم النقلية من قواعد واسلوب وفصاحة ومنطق وما وراء الطبيعة وفقه ولغة والهندسة والفلك وغيرها[52].

وقد أسهمت الجمعيات العلمية والدينية بنصيب كبير في دعم الجانب الثقافي وكانت الغاية الأساسية لهذه الجمعيات هي نشر العلم وتنشيط التربية والتعليم وانشاء المدارس، وقد تألفت أول جمعية في لبنان سنه 1847 باسم "الجمعية السورية" اسسها المبشرون الامريكان وكانت اشبه بالنادي ضمن اكثر الادباء والعلماء واشهرهم آنذاك امثال بطرس البياتي وناصيف اليازجي وميخائيل مشاقه وغيرهم، واعيد تأليف هذه الجمعية عام 1868 حيث فتحت ابوابها للمسلمين واتسع نشاطها وزاد تأثيرها الثقافي في سوريه[53].

ثم تلا ذلك انشاء "الجمعية العلمية السورية" عام 1857 على غرار الجمعية السورية واقتفت اثرها ولكنها اختلفت عنها بانها كانت تتكون من المسلمين والمسيحين على السواء، وضلت عاملة لفترة طويلة حتى انها حصلت على اعتراف الدولة العثمانية بصورة رسمية، وحصلت على الموافقة بنشر اعمالها، وانتمى اليها عدد كبير من ابناء المدن السورية ورجال السياسة، وكانت مظهر من مظاهر الوعي الثقافي والقومي في سوريه[54]، وقد اعقب ذلك تأسيس جمعية طلابية باسم "الجمعية العلمية" في الكلية الانجيلية السورية عام 1866 لمساعده الطلاب وتدريبهم على البحوث والخطابة، ثم تأسست جمعية "زهره الآداب" من خريجي المدارس سنه 1873، وكان من اعضائها ابراهيم اليازجي وسليمان البستاني واديب اسحق، ثم انشأت "الجمعية التاريخية السورية" في دمشق عام 1875 لتشجيع البحوث التاريخية، وفي عهد مدحت باشا

والي سورية امر بتأليف "الجمعية خيرية" في دمشق سنه 1879 لنشر الثقافة والمعارف بين الشعب، فأسهمت هذه الجمعية في انشاء عدد من المدارس للبنين والبنات في سوريه[55].

كما انشأ عدد من الادباء والعلماء في بيروت عام 1880 "جمعية "المقاصد الاسلامية" فأسست هذه الجمعية عدد من المدارس في لبنان، ثم توالى انشاء عدد من الجمعيات امثال جمعية "زهره الاحسان" الارثوذكسية عام 1880، و"جمعية تهذيب الشبيبة السورية" عام 1903، و"جمعية يقظه الفتاة العربية"، وفي سنه 1918 انشأت "جمعية "يقظة المرأة الشامية" بدمشق والتي فتحت مدرسة للبنات في الصالحية، وفي 1920 انشأت الكاتبة السورية ماري عجمي "النادي الادبي النسائي" ثم "الجمعية الغراء" التي اسسها الشيخ محمد علي الدقر والتي اشرفت على انشاء ستة معاهد للعلوم الاسلامية، وانشات خمس مدارس ابتدائية في سورية[56].

يبدو مما سبق انه على الرغم من تخلف الثقافة في بعض البلاد الشامية عموما ومنها ولاية سورية على وجه الخصوص خلال الربع الأول من القرن التاسع عشر، وذلك بطبيعة الحال ناتج عن عدة عوامل منها مشاغل الدولة السياسية واعبائها المالية التي اصبحت صفة واضحة في أيامها الاخيرة، حيث اتسمت بالضعف والانحلال، هذا فضلا عن وجود اسباب اخرى غير ظاهرة تتعلق بعلاقة النظام الحاكم والجماهير في ولايات الدولة، فقد كان من أهداف النظام الحفاظ على جميع أنماط التخلف الثقافي والاقتصادي والاجتماعي لرعايا الدولة وخصوصا البلاد العربية، وكانت الغاية الحيلولة دون إنارة ابصار الجماهير على مفاسد النظام عبر اقفال منافذ المعرفة وسبل التواصل مع البلدان المتحضرة، الا ان هذه السياسة فشلت امام اصرار النابهين من سكان البلاد العربية عموما وسورية خصوصا في الوصول الى منابع المعرفة، مما اجبر الدولة على توفير ادوات المعرفة الجماهيرية كالمطبعة والصحيفة والمدرسة الرسمية لتحقيق مصالحها بالدرجة الاولى، كما انها ارغمت على فسح المجال أمام حركه التبشير وسمحت لها بالنمو والانتشار، هذا فضلا عن ظهور النوادي الأدبية والسياسية وعدد من الجمعيات العلمية والأدبية، ويمكن القول ان النشاط الثقافي كان اروع صفحات سورية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فبالرغم من الاضطراب السياسي والتدهور الاقتصادي شهدت سورية حركة ثقافية نشطه أدت إلى انشار المدارس والمعاهد العالية والجامعات والمكاتب والمطابع والصحف والمجلات خلال فترة قصيرة لا تتجاوز ربع قرن، واستمر هذا التقدم السريع طوال القرن بحيث فاقت سورية سائر البلاد العربية والعثمانية في مطلع القرن العشرين، وقد ساعدت هذه الظروف على خلق بيئة ثقافية انجبت العديد من المثقفين على اختلاف انتماءاتهم الفكرية وتوجهاتهم السياسية، حيث تأثر هؤلاء بالأفكار المعاصرة لهم وكيفوها بما تلائم وبيئة مجتمعاتهم، وهذا ما سنوضحه في المبحث التالي.

الخاتمة:

من خلال دراستي لموضوع البعثات التبشيرية الاجنبية والتعليم واثرها في تأسيس النخبة المثقفة في سورية توصلت الى العديد من الاستنتاجات وهي كالاتي:-

1- ادت هذه البعثات دوراً كبيراً وبارزاً في نشر التعليم في سورية وتأسيس النخبة المثقفة على الرغم من ان هدفها كان الهيمنة والسيطرة الاجنبية . فالنتيجة كانت ايجابية رغم الهدف الطامح في سورية .
2- ساهم التنافس ما بين هذه البعثات على اساس المذهبي داخل الديانة المسيحية ما بين (الكاثوليك والارثوذكس والبروستات) على زيادة وتيرة دورها في التعليم وتأسيس المدارس والمعاهد التعليمية .

3- الدور المصري كان واضحاً وفعالاً في توسيع التعليم في ارجاء سورية وكان دوراً كبيراً في بناء هذه النخبة المثقفة ونقل التجربة الاوربية في التعليم الى سورية .

4- رغم ان الدور الضعيف للدولة العثمانية والذي كان يمكن ان يكون الدور القيادي في حمل راية التعليم تجاه سورية والمنطقة العربية الا هذا الدور لم يكن بالمستوى المطلوب لربما لاسباب في مقدمتها ضعف الدولة العثمانية والتدخلات الاجنبية فيها متمثلة بالامتيازات الاجنبية الا انها اصدرت ما عرف بالتنظيمات التي اسهمت ولو بشكل بطيء في نشر التعليم في سورية .

5- استفادت النخبة المثقفة في سورية من كل هذه الصراعات والتنافس الاستعماري داخل اراضيها في توسيع قاعدة التعليم منها والاستفادة من هذه التناقضات في مجال نشر الصحف .

الهوامش والمصادر:

(1) يسرى محمد عبد الهادي، الارساليات الأجنبية الى بلاد الشام، رساله ماجستير غير منشورة،(جامعه ام القرى: كلية الشريعة والدراسات الاسلاميه،1992) ،ص358.

(2) ابراهيم باشا (1789- 1848): ولد في مدينة نصرتلي بالروملي في مقدونيا، استدعاه والده الى مصر سنة 1805 بعد ان عين محمد علي باشا واليا على مصر من قبل السلطان العثماني، وفي مصر تلقى ابراهيم باشا تعليمه وثقافته، ثم بدأ بممارسة شؤون الحكم، في سنة 1807 عينه والده دفتر دار مفتشا عاما للحسابات، ثم قائدا للحملة التي وجهت لقتال المماليك، وفي سنة 1809 عينه حاكما على الصعيد في مصر اضافة الى منصب الدفتر دار، وفي سنة 1816 عينه والده قائدا للحملة المصرية على الحجاز ضد الوهابية والتي استمرت حتى سنة 1819، وفي سنة 1824 ارسل للقضاء على ثورة اليونان وبقي فيها حتى سنة 1828، ثم عاد الى مصر وقام ببناء اسطول بحري قوي عوضا عن اسطوله الذي خسره في حرب اليونان، وفي سنة 1831 قاد حملة عسكرية على بلاد الشام وحتل سورية التي اصبحت تحت حكم ابراهيم باشا حتى عام 1840. للتفاصيل انظر: مؤلف مجهول، مذكرات تاريخية عن حملة ابراهيم باشا على سوريا،(دمشق: دار قتيبة، 1980)، ص 11-16.

(3) لطيفه محمد سالم ،الحكم المصري في الشام،ط2، (القاهرة: مكتبه مدبولي ، 1990) ،ص8.

(4) جورج انطونيوس، يقظه العرب، ترجمه: ناصر الدين الاسد واحسان عباس، ط8،(بيروت: دار العلم للملاين،1987)،ص98.

(5) جورج انطونيوس، المصدر السابق،ص99.

(6) المصدر نفسه، ص98.

(7) المصدر نفسه، ص98.

(8) عبد الكريم غرابيه، سوريه في القرن التاسع عشر،(سوريه: دار الجيل للطباعه،1961)،ص171.

(9) كرنيليوس فانديك(1818- 1895) : ولد في مدينة كيندر هوك في ولاية نيويورك في الولايات المتحدة، وهو الابن السابع والاخير لأبوين يعود اصلهما الى احدى العائلات الهولندية، هاجر الى الولايات المتحدة في القرن السادس عشر، اتقن منذ صغره عدة لغات كاليونانية واللاتينية والانكليزية والهولندية، كان ابوه طبيبا ويملك صيدلية فدرس الطب على يده، برع بالصيدلة، ودرس الطب في مدرسة سيرنغفيلد، ثم اكمل دراسته في معهد جيفرسن الطبي في فيلادلفيا، نال شهادة الدكتوراه في الطب، اتى الى لبنان عام 1940 مرسلا من جانب المشيخيين الامريكيين وهو في الحادية والعشرين من عمره، وفي بيروت تعرف على بطرس البستاني وناصيف اليازجي ودرس على يدهم العربية واتقنها، وكان له الفضل في تأسيس الكلية السورية الانجيلية في بيروت. للتفاصيل انظر: فيليب حتي، لبنان في التاريخ منذ اقدم العصور التاريخية الى يومنا هذا، ترجمة: انيس فريحة،(بيروت: مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر، 1959)، ص 563-564.

(10) عبد الكريم اليافي، التعليم في بلاد الشام في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين، مجله "التراث العربي"،المجلد12،العدد45، 1991،ص26.

(11) ناصيف اليازجي(1800- 1871): ولد في كفر عشما في لبنان، وتعلم مبادئ العربية على راهب من بيت شباب واكمل ثقافته، يعد من ابرز الذين خدموا اللغة العبية وخلفوا فيها آثار حية قوية، عاش واحد وسبعين عاما، خلف وراءه عددا ضخما من المؤلفات، كان مقربا من الامير بشير الشهابي، انتقل الى بيروت واقام فيها، وتفرغ للمطالعة والتأليف

والتدريس ونظم الشعر ومراسلة الادباء، في عام 1869 اصيب بمرض عضال توفي على اثره، من مؤلفاته "ديوان ابي الطيب"، و"الجوهر الفرد في فن الصرف". للتفاصيل انظر: انور الجندي، الاعلام الالف،(القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، د.ت)، ص155.

(12) بطرس البستاني(1819- 1883): ولد في بلدة الدبية في قضاء الشوف بلبنان، تلقى في مسقط راسه مبادئ العربية والسريانية مع نسيبه شبلي ابن الخوري يوسف البستاني، التحق بمدرسة عين ورقة وهو في الحادية عشرة من عمره، قضى فيها عشر سنوات 1830-1840 تعلم خلالها قواعد العربية والسريانية، والتاريخ، والجغرافية، والحساب، والمنطق، والفلسفة، واللاهوت الادبي والنظري، عام 1840 استقر في بيروت وعمل مترجما في القنصلية الانكليزية، عام 1840 عمل معلما للغة العربية في مدرسة المرسلين الامريكان، كان احد ابرز أعلام النهضة العربية الحديثة في لبنان والعالم العربي، له عدة مؤلفات اهمها قاموس "محيط المحيط" عام 1860 اصدر نشرة اسماها "نفير سوريا" وهي اول نشرة عربية في سورية، عام 1870 اصدر مجلة "الجنان"، كان من انصار تعليم المرأة. للتفاصيل انظر: المصدر نفسه، ص116.

(13) جورج انطونيوس، المصدر السابق،ص105.

(14) مصطفى خالدي وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية،(بيروت: منشورات المكتبة العصريه،1986)،ص96-97.

(15) جور انطونيوس، المصدر السابق،ص107.

(16) جورج انطونيوس، المصدر السابق،ص108.

(17) يسرى محمد عبد الهادي، المصدر السابق،ص365-366.

(18) المصدر نفسه،ص376.

(19) المصدر نفسه،ص377.

(20) حبيب محمد صالح، البعثات التبشيرية الأرثوذكسية الروسية في بلاد الشام سورية وفلسطين1840-1914،مجله "الدراسات تاريخيه"،العددان65-66، ايلول-كانون اول1998،ص156-160

(21) عبد الكريم غرابيه، سوريه في القرن التاسع عشر،(دمشق: دار الجيل للطباعه،1961)،ص167-171.

(22) المصدر نفسه،ص173.

(23) نعمان قساطلي، الروضة الفناء في دمشق الفيحاء ،(بيروت:د،ن،1879)،ص20-22

(24) عبد الكريم غرابيه، المصدر السابق،ص57-58.

(25) جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص104.

(26) محمد كرد علي، خطط الشام،ج4،المصدر السابق،ص62.

(27) صلاح احمد هريدي دراسات في تاريخ العرب الحديث،(القاهرة: عين للدراسات والبحوث،2008)،ص488.

(28) جورج انطونيوس، المصدر السابق،ص105.

(29) طلال عتريسي البعثات اليسوعية مهمه اعداد النخبة السياسية في لبنان،(بيروت: الوكالة العالمية للتوزيع،1987)،ص51.

(30) عبد الكريم غرابية، المصدر السابق ،ص163.

(31) طلال عتريسي المصدر السابق،ص51.

(32) احمد حلمي العلاف، دمشق في مطلع القرن العشرين،(دمشق: دار دمشق،1983)،ص78.

(33)المصدر نفسه ،ص79.

(34) عائشة الدباغ، المصدر السابق، ص106.

(35) عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سوريه 1864-1914،(القاهرة: دار المعارف بمصر، د.ت)،ص255،ظافر القاسمي، مكتب عنبر صور وذكريات من حياتنا الثقافية والسياسية والاجتماعية،(بيروت: دار العلم للملاين،1949)،ص93.

(36) عبد العزيز محمد عوض، المصدر السابق،ص256.

(37) المصدر نفسه،ص257.

(38) "حولية الثقافية العربية"،(مجلة)، مصر، العدد(1)، 1 يناير 1949،ص1-10.

(39) مدحت باشا (1822-1883): ولد في استانبول، والده الحاج علي افندي اصله من روستشوك، لم يتلق من العلم في صباه الا المبادئ الاولية، لأنه كان يتنقل مع والده ويقيم حيثما اقام حتى استقر في استانبول سنة 1836، التحق مدحت اولا بسكرتارية الصدارة العظمى في استانبول، وتنقل منها الى مناصب مختلفة في الولايات، فأقام في دمشق سنتين كوالي لها، ثم عاد الى استانبول عام 1844، ثم غادر الى قونيا سكرتيرا لمجلس برئاسة سام بكير باشا، وترقى سنة 1849 الى سكرتير ثاني لمجلس الولاية، وفي 1851 صار سكرتير اول له، وفي سنة 1854 عينه الصدر الاعظم على البلقان فاستطاع تهدئة الاوضاع هناك، سافر الى اوربا واعجب بتطورها، عام 1861 عين واليا على بلغاريا، وفي سنة 1869 عين والي على بغداد حتى عام 1869، شغل منصب رئيس وزراء لمد شهرين زمن السلطان عبد الحميد الذي نفاه الى جزيرة كريت، كان من الاصلاحيين الذين طالبوا بالدستور، توفي بالطائف ويقال انه قتل. للتفاصيل انظر: انور الجندي، الاعلام الالف،(القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، د. ت)، ص31.

(40) حازم زكريا محي الدين، الشيخ طاهر الجزائري1852-1920 رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث،(دمشق: دار العلم،2001)،ص33-34.

(41) عبد العزيز محمد عوض، المصدر السابق،ص260-161.

(42) المصدر نفسه،ص262.

(43) عبد الكريم غرايبه، المصدر السابق،ص164-165.

(44) مجله "حوليه الثقافة العربية"، المصدر السابق، العدد(1)، 1 يناير1949،ص10-14،اسكندر لوقا،، المصدر السابق، ص43-45.

(45) عبد الكريم غرايبه، المصدر السابق،ص164،اسكندر لوقا، المصدر السابق،ص44.

(46) عبد الكريم اليافي، التعليم في بلاد الشام في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ،مجله التراث العربي، العدد(45)، المجلد12، 1991،ص22.

(47) محمد كرد علي، خطط الشام،(دمشق: مكتبه النوري،1983)،ج4،ص75.

(48) عبد الكريم غرايبة، المصدر السابق،ص162.

(49) لويس شيخو، الآداب العربية في القرن التاسع عشر،(بيروت: المطبعة الكاثوليكيه،1924)،ص49-57.

(50) محمد اديب الحمصي، منتخبات التواريخ ،(بيروت: دار الافاق،1979)،ص 139.

(51) عبد الكريم غرايبه، المصدر السابق ،ص166.

(52) عائشة الدباغ، الحياة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين،(بيروت: دار الفكر العربي،1971)،ص55-56.

(53) عبد الكريم اليافي، المصدر السابق،ص33.

(54) محمد بديع شريف وزكي المحاسني، دراسات تاريخيه في النهضة العربية الحديثة،(القاهرة: مكتبه الانجلو مصريه، د.ت)،ص80

(55) احمد حلمي العلاف، المصدر السابق،ص180.

(56) عبد الكريم اليافي، المصدر السابق،ص33-34؛ محمد بديع شريف وزكي المحاسني، المصدر السابق،ص80؛ فؤاد سيد صالح، اشهر الاحداث العالمية،(بيروت: مكتبه حسن العصرية للطباعة والنشر والتوزيع،2015)،ج 1،ص583.